

## غزة في عيون الصحافة الغربية: نموذج كلاسيكي للصحافة الاستعمارية



ترجمة وتحرير: نون بوست

إذا كنت تتابع وسائل الإعلام الغربية لفهم الصور والقصص المفجعة التي تخرج من غزة أثناء الاحتلال الإسرائيلي، فمن المحتمل أن تصاب بخيبة أمل.

منذ بداية الهجوم الأخير، الذي أثبت أنه واحد من أسرع محاولات التطهير العرقي في التاريخ الموجهة ضد منطقة فلسطينية تحت الحصار من قبل إسرائيل، نشرت وكالات الأنباء الغربية مرارًا ادعاءات كاذبة لتبرير انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي ولحماية إسرائيل من التحقيقات، وقدمت رؤية مجزأة للأحداث وتجاهلت العنف الذي تمارسه إسرائيل.

بينما فعلوا ذلك، تجاهل الصحفيون الغربيون أبسط المعايير في تقاريرهم حول معاملة إسرائيل تجاه الفلسطينيين. بالطبع لا شيء من هذا جديد. لقد ساعد الموقف الخاطئ للصحافة الغربية في شرعنة احتلال إسرائيل والعنف ضد الفلسطينيين لأكثر من 75 عامًا.

موت 6 أطفال فلسطينيين

قبل أكثر من عام من هجوم حماس على إسرائيل في 7 تشرين الأول / أكتوبر، في 6 آب / أغسطس 2022، نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقريرًا عن "تصاعد" الصراع بين إسرائيل وغزة، متجاهلة بشكل فظيع مبادئ الصحافة الجيدة، وتضمن هذا التقرير مقتل ستة أطفال فلسطينيين.

في مدارس الصحافة، يُعرف هذا الأسلوب بأنه "تقديم الأخبار بلا توقف"، واتضح أن هذا كان خبرًا مضللًا أيضًا. وبعد عشرة أيام؛ اعترف الجيش الإسرائيلي أخيرًا بأنه وراء الهجمات التي أدت إلى مقتل الأطفال في جباليا.

الصحافة الغربية والاستعمار

أستطيع وصف هذا بأنه مخالف للمهنية، وسيكون هذا صحيحًا نظرًا لأن من الواضح أن الأخبار

المتعلقة بهذا الصراع في وسائل الإعلام الغربية تتشكل من خلال الأيديولوجية بدلاً من البحث الدقيق عن الحقائق. ومع ذلك، فإن مثل هذا التقييم سيتجاهل مشكلة أعمق وأكثر جوهرية في الصحافة الغربية: الاستعمار.

وتعد تقارير الصراعات واحدة من أكثر الأجزاء استعمارًا في أكبر المؤسسات الإخبارية في العالم. حتى في غرف الأخبار المتنوعة عرقياً، حيث يمكن أن تكون عملية تغطية الصراعات معقدة. ومع ذلك، يجب محاسبة المؤسسات الإخبارية التي تفخر بدقة تقارير الصراعات على الأخطاء الفادحة التي يبدو أنها تمر عبر المرشحات التحريرية. كما يجب أيضاً أن نتذكر أنه من خلال هذه الأخطاء المتسقة، لا يقوم الصحفيون الغربيون فقط بتغطية الصراع في فلسطين، بل يقومون أيضاً بـ "التوسط" فيه.

ولا يمكنني أن أكمل دون ذكر أن هذا هو مثال نموذجي للصحافة الاستعمارية. فهذه الصحافة تُمارس من قبل أفراد الدول الاستعمارية الذين يفتخرون بالغزوات الإمبراطورية، والذين يتغذون على تراكمات الثروة والمعرفة والامتيازات الغنية بالنهب التي استمرت لقرون. ويبدو أن هؤلاء الصحفيين قد أقنعوا أنفسهم بأن بلادهم قد حاربت خصوماً أقوياء ولا أخلاقيين عبر التاريخ، وتغلبت عليهم، ووقفت الشر، وحافظت على الحضارة، وأنقذت يومها. هذا هو السرد السائد في الغرب وبالتالي في الصحافة الغربية.

ومع ذلك، يكون السرد السائد عادةً ليس الوجه الحقيقي للأحداث، بل هو مجرد رواية المنتصرين

الترتيب الصحيح - السياق المتعلق

وكما فعلت في العديد من المرات السابقة اليوم؛ تقدم وسائل الإعلام الغربية مرة أخرى سرد المنتصرين في تقاريرها عن النزاعات والأزمات والمعاناة الإنسانية في البلدان التي تعاني بعد الاستعمار، مثل غزة. الصحافة الغربية في جوهرها هي صحافة المنتصرين، فهي لا تسعى أبداً إلى تحليل الأحداث، أو ترتيبها بالترتيب الصحيح، أو تضمين السياق المناسب لكشف تجاوزات "المنتصرين" في التاريخ وعدوانيتهم وعنفهم.

وعندما يتعلق الأمر بفلسطين، فإن الصحافة تنشر تقاريرها من قبل أشخاص لا يعرفون أبداً كيف يشعر الناس بالعيش تحت الاحتلال. إنها صحافة منحرفة تُمارس بدون بوصلة أخلاقية أو مشاعر نزاهة أساسية.

شعوب هيستيرية

في صحافة المستعمر، اللغة هي سلاح يستخدم لمحو إنسانية المستعمر.

وفي كتابه "معذبو الأرض"، الذي حلل فيه فيلسوف فرانتس فانون التأثيرات اللاإنسانية للاستعمار على المجتمعات المستهدفة، كتب عن معاناة الجزائر (خلال الغزو الإمبريالي الفرنسي) التي تم تصويرها في الأخبار الإعلامية على أنها "أطفال لا ينتمون لأحد" و"حشود هستيرية" و"جيوش من الإحصائيات الحيوية". تم تأليف الكتاب عام 1961، لكن استنتاجاته تنطبق بشكل مثالي على كيفية تناول معاناة الفلسطينيين في وسائل الإعلام الغربية اليوم.

وأصبح استخدام اللغة بهذه الطريقة اللاإنسانية واضحاً بشكل خاص في إحصاء عدد القتلى. ففي أوائل تشرين الثاني/نوفمبر، كتبت صحيفة تايمز أوف لندن: "مر شهر على بدء إسرائيل حرباً قتل فيها إن 10300 فلسطيني قتلوا، بينما قتلت حماس 1400 شخص واختطف 240 شخصاً".

في الصحافة الغربية، يموت الإسرائيليون فعلياً - حماس "تقتلهم" أو "تذبحهم" - بينما يموت الفلسطينيون بشكل سلبي. كما قالت صحيفة الغارديان ذات مرة، "يموتون من العطش مع نفاذ المياه النظيفة"، كما لو كان ذلك عملاً عشوائياً من الآلهة وليس جريمة متعمدة ضد الإنسانية.

نحن وهم

وفقًا لما كينة الدعاية الغربية، لإسرائيل الحق في تدمير غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية وإيران ولبنان واليمن وجميع الدول الأخرى في المنطقة من أجل الحفاظ على سلامة الإسرائيليين. يمكنها قتل جميع المسلمين تقريبًا، واليهود الذين يطالبون بوقف إطلاق النار، وموظفي الأمم المتحدة، والأطباء في أطباء بلا حدود، والصحفيين، وسائقي سيارات الإسعاف، وحتى الأطفال، أثناء استهدافها لحماس.

ومع ذلك، نادرًا ما تناقش المؤسسات الإخبارية ما يعنيه هذا لإسرائيل والعالم، حيث إن الشعور بالأمان لا يأتي إلا من خلال إبطار الملايين من الناس بالموت والبؤس. ولم يتساءل أي منهم – لأن هناك الآن "نحن" و "هم"، عالم منقسم بين والمستعمرين والشعوب المُستعمرة- بشكل هادف ما إذا كان النصر الذي تم تحقيقه على حساب حياة آلاف الأطفال الأبرياء يمكن اعتباره نصرًا حقًا.

الصحافة الغربية تحجب حقيقة أننا نواجه دعاية حرب مأكرة، وأن إسرائيل، بدعم من أقوى جيش في العالم، تشن حربًا على شعب بلا وطن يعيش تحت الاحتلال، وتقتل آلاف الرجال والنساء والأطفال الأبرياء. كما إن حقيقة أن الحكومات الغربية تسمح بهذه المجزرة بينما تُلقى دروسًا للعالم حول قيمها الفائقة وأخلاقها وحبها للديمقراطية لا تخفى على أحد في العالم ما بعد الاستعمار. أيضا حديثهم عن الأخلاق وحب الديمقراطية والصحافة الاستثنائية النزيهة والسياسيين الشرفاء هو مجرد خداع.

تهمة "الإبادة الجماعية المحتملة"

في ظل تصاعد حدة الحرب، وموت الأطفال جوعًا، ومحاكمة إسرائيل بتهمة "الإبادة الجماعية المحتملة"، من المهم للغاية الإشارة إلى الدماء على أيدي الصحفيين الغربيين. فبالتنسيق التام مع حكوماتهم القوية، قاموا بتشويه وإضعاف المؤسسات متعددة الأطراف مثل الأمم المتحدة، ومنحوا مصداقية لروايات "الدفاع عن النفس" الإسرائيلية، وقللوا من شأن قصص الفلسطينيين ووجهات نظرهم.

تم منع الفلسطينيين القليلين الذين تم إعطاؤهم منصة باسم "التوازن" والصحافة الجيدة من مناقشة عقود من القمع والاحتلال وسوء المعاملة التي مارستها إسرائيل. وسُمح لهم فقط بالبكاء على أحبائهم الذين ماتوا وطلب المزيد من المساعدة لإطعام أطفالهم الجوعى – بعد إدانة حماس بالطبع.

ربما مع هذه الحرب، وصلت الصحافة الغربية إلى طريق مسدود. فمع ازدياد عدد الأشخاص حول العالم الذين يتابعون حرب إسرائيل على غزة من خلال حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي ويشهدون بأعينهم ما يجري من خلال تقارير وشهادات الفلسطينيين أنفسهم، يزداد الوعي بدور وسائل الإعلام الغربية في استمرار القوة الاستعمارية ولغتها وأيديولوجياتها.

الليبرالية الغربية والنظام القائم على القواعد

تزداد حدة الانتقادات هذه الأيام حول فشل القادة الغربيين، لكن لا يتم الحديث بما يكفي عن فشل المثقفين الغربيين، وخاصة أولئك الذين يديرون أهم المؤسسات الإخبارية في الغرب. فنتيجة لحرب إسرائيل على غزة، لم يتم تدمير الليبرالية الغربية والنظام القائم على القواعد فقط، بل أيضًا شرعية الصحافة الغربية.

المؤسسات الإخبارية الغربية أظهرت في تغطيتها للحرب في غزة أنها تنظر إلى الموت الجماعي، والمجاعة، والبؤس الإنساني الذي لا نهاية له، باعتباره أمرًا مقبولًا، بل وحتى حتميًا، عندما ينفذه حلفاؤها. لقد أظهروا أن صحافة الصراع، كما يتم تطبيقها في المؤسسات الإخبارية الغربية، ليست سوى شكل آخر من أشكال العنف الاستعماري، يتم تنفيذه بالكلمات بدلًا من القنابل والطائرات بدون طيار.

في خضم هذه الوحشية المروعة، نشعر نحن الصحفيون غير البيض بالصدمة من الفساد الأخلاقي الهائل لمؤسسات الأخبار التي يُقال لنا إننا يجب أن نحذو حذوها. في الختام، باستخدام القوة الهائلة التي يمتلكونها، يمكن للصحفيين الغربيين الآن على الأقل المطالبة بوقف إطلاق نار دائم وإنقاذنا من مثال آخر للصحافة الاستعمارية.“  
المصدر: الجزيرة الإنجليزية

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/199095/>